المبحث الثاني
حقوق الإنسان في حضارات العراق القديمة

تُعد حضارات وادي الرافدين من أقدم الحضارات البشرية وأبرزها اهتماما بحقوق الإنسان.. ففي بلاد سومر ظهرت ولأول مرة في التاريخ حدود الملكية الشخصية وتوضحت العلاقات الاقتصادية بين الفرد والدولة وبين الأفراد أنفسهم، كما تم تنظيم العلاقات الاجتماعية بأبعادها المختلفة.(١)

وتمثل إصلاحات العاهل السومري **اورو-كاجينا** (٢٣٥٠-٢٣١٣ ق.م) **حاكم مدينة لكش** أقدم إصلاحات اجتماعية واقتصادية عرفها التاريخ، وقد عثر على أربع نسخ من هذه الإصلاحات مدونة على رقم من الطين باللغة السومرية وبالخط المسماري.

ومن أبرز ما جاء في هذه الإصلاحات.. منع الأغنياء والكهنة والمرابين من استغلال الفقراء، وساهم في رفع المظالم التي كانت تقع على الفقراء، وقد ذكر هذا الإصلاح في وثيقته وفحواه (**أن بيت الفقير قد صار بجوار بيت الغني**) خاصة بعد أن منح الملك الحرية التامة لسكان

---

(١) أنظر: د. بهنام أبو الصوف، قراءة في المضمون القانوني للشرائع العراقية القديمة، نبذة تاريخية، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد الثاني، السنة الثانية، نيسان، ٢٠٠٠، ص٥.

والتعليم كثيرا من المثل المرتبطة بحقوق الإنسان تحت كتابتها على قطع من الحجر والخزف.(١)

ولا يفوتنا القول بان فراعنة مصر كانوا يدّعون الألوهية لأنفسهم، والملك عندما يوله نفسه انما يجعلها فوق الجميع ويسناى عن اي خطأ. ففرعون مثلا كان يعد نفسه الها مطلقا في الحكم ومصدرا للعدالة والتشريعات التي كانت تصدر عن إرادته ومشيئته وبالشكل الذي يرغب(٢). يضاف إلى ذلك أن الحاكم كان يستضعف الناس ويستخف بهم، حتى وصل به الحال الى حرمان بعضهم من حق الحياة ذاته. ويجسد ذلك الحقيقة القران الكريم بقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾(٣)

---

(١) أنظر: د. رياض عزيز هادي، مصدر سابق، ص ١٠.

(٢) أنظر: السيد أحمد هاشم العطار، ملامح حقوق الإنسان في شرائع العراق القديم، سلسلة ثقافية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤، ص١٤-١٥.

(٣) الآيات: (٤-٥) من سورة القصص.

المبحث الثاني
حقوق الإنسان في الإسلام

سبق القول بأن الإنسان كان المحور الرئيس لجميع الأديان السماوية ومنها الدين الإسلامي، الذي كرّم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات الأخرى. ولو تمعّنا جيداً في الأحكام التي تضمنها القرآن الكريم باعتباره المصدر الرئيس للتشريع الإسلامي والسنّة النبوية المطهرة كمصدر ثان، سنجد بأن هناك المئات من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي بينت بوضوح ما يجب أن يتمتّع به الإنسان من حقوق جوهرية مهمة.

ويمكن القول بتجرد إن الإسلام كان أسبق من الشرائع الوضعية في تقرير حقوق الإنسان وحرياته التي جاءت بأكمل صورة وعلى أوسع

---

(١) أنظر: د. صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان، دار العلم للملايين، لبنان، ط١، ١٩٧٩، ص٢٦.

ويبدأ **حمورابي** شريعته تلك بمقدمة طويلة يبين فيها الأسباب التي دعته لوضع تلك الشريعة، ثم يمجد الآلهة التي طلبت منه وضع هذه الشريعة لنشر العدل في البلاد.

عالجت شريعة **حمورابي** مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والمهنية[1]، وتضمنت مواد الشريعة المختلفة أحكاما تتعلق بالقضاء والشهود والسرقة والنهب وشؤون الجيش والزراعة والقروض ومسائل الزواج والطلاق والإرث والتبني والتربية وكل ما له صلة بالأسرة، بالإضافة إلى مواد تخص العقوبات والغرامات.

يتضح مما سبق أن حضارة وادي الرافدين تُعد من أقدم الحضارات الإنسانية التي أولت اهتماما منقطع النظير بحقوق الإنسان وحرياته وصلاحياته العائلية، وحرصت دائما على إنصاف المظلوم وحماية حقوق الضعيف ومنع استغلال الفقراء وإشاعة العدل بين الناس.

---

(١) أنظر: د.عباس العبودي، ضمانات العدالة في حضارة وادي الرافدين، مجلة دراسات قانونية، مصدر سابق، ص ٢٠ وما بعدها.

من حيث الأهمية.. فهو أساس كل الحقوق وعليه تبنى جميعها، فهو حق مقدس ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه كونه هبة من الله تعالى وليس للإنسان فضل في إيجاده، تجسيداً لقوله تعالى ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾.(١)

وهو ما أكده رسول الله ﷺ في خطبة الوداع بقوله ﷺ **إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** ﷺ.

ولأهمية حق الحياة فقد نصّ عليه الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان(٢)، على أن (**الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان، وعلى الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه، ولا يجوز إزهاق روح دون مقتضى شرعي**).(٣)

أما حق الإنسان في المساواة فقد أولته الشريعة الإسلامية السمحاء أهمية كبيرة.. حيث أن هذه المساواة لم تكن مقررة في معظم النظم والشرائع القديمة، ففي الهند على سبيل المثال سادت الديانة البرهمية التي

---

(١) الآية: (٣٢) من سورة المائدة.

(٢) صدر الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان في التاسع عشر من أيلول عام (١٩٨١) في جلسة اليونسكو، ومبادرة من المجلس الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، تضمن ديباجة وخمسة وعشرين مادة تناولت جوانب مختلفة من حقوق الإنسان وحرياته.

انظر : د. محمد الزحيلي، مصدر سابق، ص ٤٠٠ وما بعدها.

(٣) انظر: نصّ الفقرة الأولى من المادة الثالثة من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.

نطاق، بل إنها تمثل أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان، ولقد كان للشريعة الإسلامية في هذا المجال أبلغ الأثر في الفكر الإنساني.

ورأى البعض أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨) لا يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية إلا في حالات نادرة وأنه لا يزال أسمى من مستوى الصورة التي رسمتها الشريعة لنظام الحقوق والحريات الإنسانية.(١)

وبما أن أحكام الشريعة الإسلامية تخص البشرية جمعاء وليست حكراً على المسلمين.. فإن بإمكان كل مجتمع أن يستعين بها ويطبقها وفقاً للظروف السائدة فيه، وحيث أن الإنسان هو غاية كل الرسالات السماوية.. فقد فضله الله على سائر مخلوقاته وكرّمه، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٢).

وينبغي أن نشير إلى أن حقوق الإنسان التي أقرّها الإسلام هي حقوق طبيعية أزلية فرضتها الإرادة الربانية كجزء لا يتجزأ من نعمة الله على الإنسان، وليس هبة أو منة من حاكم أو سلطة أو منظمة دولية. ويُعد حق الحياة(٣) من بين أهم الحقوق الجوهرية للإنسان، لا بل أنه يفوقها جميعاً

---

(١) انظر: د. ساجر ناصر حمد الجبوري، حقوق الإنسان السياسية في الإسلام والنظم العالمية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٥، ص٨.

(٢) الآية: (٧٠) من سورة الإسراء.

(٣) وتنبني على حق الإنسان في الحياة عدة أحكام شرعية تتمثل في تحريم قتل الإنسان، تحريم الانتحار، تحريم المبارزة، تحريم قتل الجنين، إباحة المحظورات للحفاظ على الحياة، حرمة إفناء النوع البشري وحرمة الإنسان الميت. عن هذه الأحكام الشرعية انظر: د. محمد الزحيلي، مصدر سابق، ص١٤٣ وما بعدها.

ومن الحقوق الأخرى التي أقرّها الإسلام للإنسان.. حقه في اختيار عقيدته ودينه دونما إجبار أو إكراه، وهو من أهم حقوق الإنسان بعد حقه في الحياة، وقد نصّ عليه القرآن الكريم بشكل واضح وصريح في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٢)..

وعلى أساس ذلك فإن الإسلام يترك للإنسان مطلق الحرية في اختيار عقيدته أو دينه بشرط أن لا يكون قد دخل دين الإسلام فإذا دخل الإسلام فلا يجوز له ترك دينه.. وتم التأكيد على هذا الحق في **الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان** بنصّه على أنه **(لمّا كان على الإنسان أن يتبع الإسلام دين الفطرة، فإنه لا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه عليه، كما لا يجوز استغلال فقره أو ضعفه أو جهله لتغيير دينه إلى دين آخر أو إلى الإلحاد)**.(٣)

أما بخصوص المرأة فقد حظيت بمكانة مرموقة في الإسلام، إذ مُنحت حقوقاً معينة أسوة بالرجل، وأصبحت لها شخصية قانونية مستقلة عن شخصية زوجها، وذمّة مالية مستقلة.. وتجسّدت هذه المساواة مع الرجل

---

(١) الآية: (٢٥٦) من سورة البقرة، ولا يشمل هذا الحق الردة بعد الإسلام فلها أحكام خاصة في الشريعة السمحاء.

(٢) الآية: (٩٩) من سورة يونس.

(٣) أنظر: المادة (١٠) من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.

قسمت الناس إلى أربع طبقات ومنحت طبقة البراهمة- وهي طبقة الكهنة ورجال الدين- حقوقا وامتيازات حتى ألحقتهم بالآلهة، بينما ألحقت طبقة الشودر- وهم رجال الخدمة- بمرتبة أحط من البهائم وأرذل من الكلاب، وتأتي بالدرجة الثانية طبقة رجال الحرب ثم طبقة رجال الزراعة والتجارة في الطبقة الثالثة.(١)

ويقصد بالمساواة- كحق أساسي من حقوق الإنسان- المساواة أمام الشرع والقانون من ناحية الحقوق والواجبات والمشاركة في الامتيازات والحماية دونما تفضيل لعرق أو جنس أو صفة أو لون أو نسب أو طبقة أو دين أو مال. فالناس أمام الشرع سواء ولهم جميع الحقوق، تأكيدا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾.(٢)

وما جاء في قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

وقد جسد الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان حق المساواة بنصه على أن (الناس سواسية أمام الشرع، يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم).(٣)

---

(١) أنظر: د. محمد الزحيلي، مصدر سابق، ص١٥١-١٥٢.

(٢) الآية: (١٣) من سورة الحجرات.

(٣) أنظر: المادة (١٩/أ) من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.

وأشارت إلى هذا الحق الآيات القرآنية الأولى التي نزلت على رسول الله محمد ﷺ ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾.(١)

وتم النصُّ في الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان على أن (طلب العلم فريضة والتعليم واجب على المجتمع والدولة).(٢)

كما أقر الإسلام حق العمل، حيث أمر الله تعالى الإنسان بالعمل وأوجب عليه ذلك.. لقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، وقوله أيضا ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ ﴾(٤).

وتطرق الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان لهذا الحق بعده العمل حق تكفله الدولة والمجتمع لكل قادر.. ولكل إنسان حرية اختيار العمل اللائق به، وللعامل حقه في الأمن والسلامة، وله أن يتقاضى أجرا عادلا مقابل عمله دون تأخير أو تمييز بين الذكر والأنثى.(٥) ويُعد حق الملكية من بين الحقوق الاقتصادية المهمة التي قررها الإسلام، لقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا(٦) وقوله أيضا ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) الآية: (١-٥) من سورة العلق.
(٢) أنظر: المادة (٩/أ) من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.
(٣) الآية: (١٠٥) من سورة التوبة.
(٤) الآية: (١٠) من سورة الجمعة.
(٥) أنظر: المادة (١٣) من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.
(٦) الآية: (٢٩) من سورة البقرة.